﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ١٠﴾ [الأعراف: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـرَّبـطُ بين موازينِ الحسابِ والـجـزاء، والتَّذكيرِ بِنِعَمِ التَّمكينِ الواجبِ شكرُها

لَمَّا أمرَ اللهُ ﷻ بمتابعةِ الرُّسُلِ، وحذَّرهم من مخالفتِهم، فأَبْلَغَ في تحذيرِهم بعذابِ الدُّنيا ثمَّ بعذابِ الآخرة، والتَّذكيرِ بنصْبِ الموازين القِسْطِ للفَصْل في مصائر العباد، الْتَفَتَ إلى تذكيرِهم ترغيبًا في ذلكَ بإسباغِ نعمِه، وتحذيرًا من سلبِها؛ لأنَّ المواجهةَ أردَعُ للمخاطَب، فقال في موضعِ الحالِ من ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ﴾، والحالُ أنَّا مَكَّنَّاكُمْ من إنْجائها بخلقِ القُوى والقُدرِ، وإدْرارِ النِّعَمِ، وجعلنا مكانًا يحصُلُ التَّمكُّنُ فيه هو (الأرض) كلُّها، لانتفاعِكم بها، وهي أشياءُ يحصُلُ بها العَيْشُ؛ لتشكروا اللهَ على هذه النِّعم الَّتي أسبغَها عليكم ظاهرةً وباطنة، لكنَّ الشَّاكرين اللهَ على هذه النِّعم نادرون، وقليلٌ ما هم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَكَّنَّٰكُمۡ﴾: المكانُ عندَ أهلِ اللُّغةِ الموضعُ الحاوي للشَّيء، ويُقالُ: مكَّنتُه ومكَّنتُ له فتمكَّنَ[2]، و"المكان أصلٌ في جميع ما يتَّصل بهذه المادَّة، لمنزلة (المكان) في العربيَّة فكرًا وواقعًا وسلوكًا. ومن المفيدِ أن نشيرَ إلى أنَّ (المكان) جاء من (الكون)، بمعنى: الوجود والهيئة، ولمنزلته الَّتي أخذها في تفكير العرب، صار أصلًا لحاجاتٍ كثيرة"[3]. ويُقالُ: مكَّنهُ اللهُ من الشَّيء تمكينًا، وأَمكَنه

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/204، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/361.
(2) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللّسان: (مكن).
(3) جعفر شرف الدّين، الموسوعة القرآنيّة، خصائص السّور: 4/157.

منه بمعنًى، واسْتمكَنَ الرَّجلُ من الشَّيءِ وتمكَّنَ منه بمعنًى، وفي قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ المرادُ هنا: جعلْنا لكم فيها مكانًا للعيش[1].

2) ﴿مَعَٰيِشَ﴾: العَيْشُ: الحياةُ المختصَّةُ بالحيوان، وهو أخصُّ من الحياة؛ و"مَعايِشَ لا تهمزُ؛ لأنَّها مفاعل من العيشِ، مفردها معيشةٌ، والأصل (مَعْيِشَةٌ) على وزن (مَفْعِلَةٌ)، وهي ما يعاشُ به من النَّباتِ والحيوان وغير ذلك"[2]. ويُشتقُّ من العيشِ المعيشةُ، لما يُتَعيَّش منه، قالَ تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزُّخرف: 32]. وقد عاشَ يعيشُ مَعاشًا ومَعيشًا، كلٌّ واحدٍ منهم يصلُحُ أنْ يكونَ مصدرًا واسْمًا كمَعَاب ومَعيب[3]. والمعيشةُ: جمعُها معايش، كما في الآية: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾، أي: هيَّأنا لكم فيها أسبابَ المعايشِ من المطعومِ والمشروبِ وما تكونُ به الحياة[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّذكيرُ بالشُّكرِ على التَّمكينِ من المسخَّراتِ، وتيسيرِ المعايشِ في الحياةِ

يقولُ اللهُ تعالى مُمتنًّا على عبيده فيما مكَّنَ لهم من أنَّه جعلَ الأرضَ قرارًا، وجعلَ فيها رواسيَ وأنهارًا، وجعلَ لهم فيها منازلَ وبيوتًا، وأباحَ لهم منافعَها، وسخَّرَ لهم السَّحابَ لإخراجِ أرزاقِهم منها، وجعلَ لهم فيها مكاسبَ وأسبابًا يكسبونَ بها، ويتَّجرون فيها، ويتسبَّبون أنواعَ الأسبابِ، وأكثرُهم مع هذا قليلُ الشُّكرِ على هذه النِّعم وغيرِها، كما قالَ تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: 34][5].

(1) الشَّوكاني، فتح القدير: 2/268.
(2) ابن الهائم، التِّبيان في تفسير غريب القرآن، ص: 164.
(3) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللِّسان: (عيش).
(4) الشَّوكاني، فتح القدير: 2/268.
(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/188، والسَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 237 - 238.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ عطفِ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ على سابقتِها:

قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، عطفٌ على قولِه السَّابقِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: 3]، وهو تذكيرٌ لهم بأنَّ اللهَ هو وليُّ الخَلْق؛ لأنَّه تعالى خالقُهم على وجهِ الأرض، وخالقُ ما به عيشُهم الَّذي به بقاءُ وجودِهم إلى أجلٍ معلوم، وتوبيخٌ على قلَّةِ شُكرهم[1].

العطفُ للتَّذكيرِ بنعمِ اللهِ، ومنها المعايشُ وألوانُ التَّسخيرِ

دَلالةُ المؤكِّداتِ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾:

جاءَ تأكيدُ الخبرِ بـ (لامِ القسَم)، و(قدْ) المفيدِ للتَّحقيق تنزيلًا للَّذين هُمُ المقصودُ من الخطابِ مَنزِلَةَ مَنْ يُنكرُ مضمونَ الخبر؛ لأنَّهم لَمَّا عبَدوا غيرَ اللهِ، كان حالُهم كحالِ مَنْ يُنكرُ أنَّ اللهَ هو الَّذي مكَّنَهم من الأرض، أو كحالِ مَنْ يُنكرُ وقوعَ التَّمكين من أصلِه[2].

المؤكِّداتُ لها أثرٌ في إزالةِ أيِّ إنكارٍ لوقوعِ التَّمكينِ في الأرض

بلاغةُ المجازِ أو الكنايةِ في ﴿مَكَّنَّٰكُمۡ﴾:

الأصلُ في التَّمكينِ جعلُ الشَّيءِ في مكانٍ، وهو يُطلقُ على الإقْدارِ على التَّصرُّفِ على سبيلِ الكناية، فهو مُستعمَلٌ هنا في معناه الكِنائيِّ لا الصَّريح، أي: جَعلْنا لكم قُدرة، أي: أَقْدرْناكم على أمورِ الأرضِ، وخوَّلناكمُ التَّصرُّفَ في مخلوقاتها، وذلكَ بما أَودعَ اللهُ في البشرِ من قوَّةِ العقلِ والتَّفكيرِ الَّتي أهَّلتْهم لسيادةِ العالمِ، والتَّغلُّبِ على مصاعبِه[3]. ويمكنُ أن يكونَ على المجاز على سبيل الاستعارةِ التَّصريحيَّة، بتشبيهِ قدرتهم على التحكُّم في الأرض بحالِ الشَّيء المتمكِّن بجامع قوَّةِ الرُّسوخ.

جاءَ معنَى التَّمكينِ بالإقْدارِ على التَّصرُّفِ والتَّغلُّبِ على المصاعب

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/324، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/33.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/33.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/33 - 34.

دَلالةُ الحرفِ ﴿فِي﴾ في قولِه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾:

الانصرافُ بالمعنَى من الحقيقةِ إلى المجازِ أمكنُ في البيانِ وأرسخُ

دلَّ إدخالُ ﴿فِي﴾ على كلمةِ ﴿ٱلْأَرْضِ﴾، على أنَّ المرادَ بالتَّمكينِ المعنَى المجازيُّ، وليس الحقيقيَّ وهو جعلُ المكانِ في الأرض؛ لأنَّ قولَه: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يمنعُ ذلك؛ لأنَّه لو كانَ كذلكَ؛ لقالَ: ولقد مكَّنَّاكُمُ الأرضَ، وقد قالَ تعالى عن عاد: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: 26]، أي: جَعلنا ما أَقْدَرْناهم عليه أعظمَ ممَّا أَقدرْناكم عليه، أي: في آثارِهم في الأرض، أمَّا أصلُ القرارِ في الأرضِ، فهو صراطٌ بينَهما[1].

معنَى (ال) في لفظ ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:

تمكينُ الإنسانِ في الأرضِ للشُّكرانِ، لا للكفرانِ

(ال) التعريف في كلمة ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ من قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ للعهدِ، أي: الأرضِ الَّتي قالَ اللّٰهُ عنها مخاطبًا ملائكته: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، وهي الَّتي أَهْبطَ إليها آدمَ ﷺ وزوجَه، وأَهبطَ معهما إبليسَ (لعنه اللّٰه)، قالَ ﷻ: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: 36]، وجعلَ فيها المعايشَ من طعامٍ وشرابٍ وسائرِ أسبابِ الحياة[2].

فائدةُ مجيءِ الجارِّ والمجرورِ في قوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾:

تسخيرُ المخلوقاتِ لخدمةِ الإنسانِ، لا للكفرِ والشَّنآنِ

أفاد مجيءُ الجارِّ والمجرورِ من قولِه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أنَّه ليس المرادُ من التَّمكينِ هنا القُوَّةَ والحكم، كالمرادِ في تمكينِ ذي القرنَيْنِ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: 84]؛ لأنَّ ذلكَ ليس حاصلًا بجميع البشرِ إلَّا على تأويل، وإنَّما المرادُ الإقدار على التَّصرُّفِ في مخلوقاتِ الأرضِ، وتسخيرِها لخدمتِكم وإقامةِ عَيْشِكُم[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/34.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/324.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/204 - 205، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/324، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/34.

دَلالةُ العطفِ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾:

مغايرة ما تقدَّمه من التَّمكين

دلَّ العطفُ في ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ﴾ على مغايرةِ ما عُطِفَ عليه، وهو ﴿مَكَّنَّٰكُمْ﴾ فليس التَّمكينُ في الجَعْل، وإنَّما الجَعْلُ هنا: الإنْشاءُ والإبداعُ كما سيأتي[1].

معنَى الجَعْلِ في ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ﴾ وما يترتَّبُ على ذلك من إعرابٍ:

للجَعْلِ معنيان: الخَلْقُ والتَّصييرُ، وكلاهما مهمَّانِ في التَّمكينِ

قولُه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ﴾: يجوزُ أن تكونَ بمعنَى (خَلَق)، فتتعدَّى لواحدٍ، فيتعلَّقُ الجارَّان ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ بالجَعْلِ، أوْ بمحذوفٍ على أنَّهما حالان من ﴿مَعَٰيِشَ﴾؛ لأنَّهما لو تأخَّرا لجاز أن يكونا وصفَيْن. ويجوزُ أن تكونَ بمعنى (صيَّرَ) أي: صيَّرنا لكم، فتَتعدَّى لاثْنَيْن أوَّلهما ﴿مَعَٰيِشَ﴾، والثَّاني أحدُ الجارَّيْن، والآخرُ: إمَّا حالٌ؛ فيتعلَّقُ بمحذوف، وإمَّا مُتعلِّقٌ بنفسِ الجَعْل، وهو الظَّاهر[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بالجَعْلِ في: ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

غرضُ (الجعل) إفادةُ معنَى الإنشاءِ والإبداعِ والتَّسخيرِ

في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ عبّرَ بالجَعل لأنَّه تصييرٌ وتهيئةٌ بعد الخلق؛ لذا عبَّر به دون الخَلْقِ، أي: أَنْشأنا وأَبْدَعْنا لمصالِحكمْ ومنافِعكم في الأرضِ، أسبابًا تعيشونَ بها، وأَقْدرْناكم على تسخيرِها لكم والتَّصرُّفِ فيها[3].

معنى اللَّامِ وعِلَّةُ تقديم ﴿لَكُمْ﴾ على ﴿فِيهَا﴾:

التَّقديمُ لعنصرٍ من التَّركيبِ على آخرَ، غرضُهُ مزيدُ الاعتناءِ بالمقدَّمِ

اللَّامُ في ﴿لَكُمْ﴾ هي للتَّعليلِ، أي: لأجلكم، ويمكن أن تكون للتَّخصيص، وأمَّا تقديم شبه الجملة على ﴿فِيهَا﴾؛ فلأنَّ المقصودَ الرئيس هو العنايةُ بالمخاطبينَ قبلَ بيانِ محلِّ هذا الإكرامِ والعناية، وفي تأخير محلِّ المنفعةِ من التَّشويق للمؤَخَّر، فالاعْتناءُ بشأنِه هنا أتمُّ، والمُسَارعةُ بذكرِه أهمُّ.

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/324.
(2) السَّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/257، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/324 - 325.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/324.

عِلَّةُ تقديمِ شِبْهِ الجملة على المفعول:

التَّقديمُ لإفادةِ الاعتناءِ بالمقدَّمِ والتَّشويقِ إلى المؤخَّرِ

تقدَّمتْ شِبهُ الجملة ﴿فِيهَا﴾ على المفعولِ ﴿مَعَٰيِشَ﴾ في قولِه: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ لإفادةِ الاعْتناءِ بشأنِ المقدَّمِ والتَّشويقِ إلى المؤخَّرِ، فإنَّ النَّفسَ عندَ تأخيرِ ما حقُّه التَّقديمُ لا سيَّما عند كونِ المُقدَّمِ مُنبِئًا عن منفعةٍ للسَّامعِ، تبقى مُترقِّبةً لورودِ المؤخَّرِ، فيتمكَّنُ فيها عند الورودِ فَضْلَ تمكُّنٍ[1].

نكتةُ التَّعبيرِ بـ ﴿مَعَٰيِشَ﴾:

مِن البيانِ تسميَةُ الشَّيءِ باسْمِ سببِهِ على طريقةِ المجازِ

وذلك في قولِه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾، فكلمةُ ﴿مَعَٰيِشَ﴾ مشتقَّةٌ من العَيْش، وهو الحياة، وأصلُ المعيشةِ اسْمُ مصدرِ (عاشَ) قالَ تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: 124]، وسُمِّيَ به الشَّيءُ الَّذي يحصُلُ به العيش تسميَةً للشَّيءِ باسْمِ سببِهِ على طريقةِ المجازِ الَّذي غَلَبَ حتَّى صارَ مساويًا للحقيقة، وياءُ ﴿مَعَٰيِشَ﴾ أصلٌ في الكلمة؛ لأنَّها عَيْنُ الكلمةِ من المصدر (عَيْش) فوزنُ مَعيشةٍ مَفْعِلةٌ، ومَعايشُ مَفاعِل، فحقُّها أنْ يُنطَقَ بها في الجمع ياءً ألَّا تُقلبَ همزة[2].

الموقعُ النَّحويُّ لـ ﴿قَلِيلًا﴾:

صفةٌ لمصدرٍ أو لظرفِ زمانٍ محذوفين

قولُه تعالى: ﴿قَلِيلًا﴾ فيه ثلاثةُ وجوهٍ إعرابيَّة: الأوَّلُ: صفةٌ لمصدرٍ محذوف، دلَّ عليه ﴿تَشْكُرُونَ﴾، أي: تشكرون شكرًا قليلًا تشكرون، والثَّاني: صفةُ ظرفِ زمانٍ محذوفٍ أيضًا، أي: زمانًا قليلًا تشكرون لا كثيرًا[3]، والثَّالث: حالٌ من ضمير المخاطَبين[4].

الموقعُ البيانيُّ لقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾:

هذه الجملةُ حاليَّةٌ

جملةُ ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ جملةٌ حاليَّةٌ من قولِه: ﴿مَكَّنَّٰكُمْ﴾ و﴿جَعَلْنَا لَكُمْ﴾.

---

(1) أبو السُّعود، الإرشاد: 2/324.

(2) الزَّمخشري، الكشاف: 2/68، والعكبري، الإملاء: 1/269، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/34.

(3) الزَّمخشري، الكشاف: 2/66، والسَّمين الحلبي، الدُّرُّ المصون: 5/546، وأبو السُّعود، الإرشاد: 2/320.

(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/53.

فالَّذين مكَّنهمُ اللهُ في الأرض، وجعلَ لهم فيها أسبابَ المعايش، وأقدَرهُمْ على التَّصرُّف فيها؛ لَيْسُوا إلَّا قليلي الشُّكر لهذه النِّعم، والمصدرُ المؤوَّلُ في محلِّ الفاعل بـ ﴿قَلِيلًا﴾ فهي حالٌ سببيَّةٌ.

ويجوزُ أن تكونَ جملةُ ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ تذييلًا مسوقًا لبيانِ سوءِ حالِ المخاطَبين وتحذيرِهم ممَّا هم فيه من قلَّةِ شكرِ اللهِ على نعمه[1].

معنَى ﴿مَّا﴾ في ﴿قَلِيلًا مَّا﴾:

﴿مَّا﴾ هنا مصدريَّةٌ موصولةٌ بالفعلِ بعدَها، والتَّقديرُ: قليلًا شُكرُكم[2].

(مـا) هـنـا مـصـدريَّـةٌ أو مـزيـدةٌ لتأكيدِ القِلَّةِ

ويمكنُ أنَّ (ما) المصدريَّة هذه وما بعدَها بتأويلِ مصدرٍ مُبتدأٌ مؤخَّر، والتَّقديرُ: زمنًا قليلًا شكرُكم، أي: إنَّهم لا يقعُ شكرُهم إلَّا في بعضِ الأحيان.

ويمكنُ أنْ تكونَ (ما) مزيدةً لتوكيدِ القلَّة[3].

وقد قيل: إنَّ ﴿مَّا﴾ هذه نافية، وهو بعيد؛ لأنَّ (ما) لا يعملُ بعدَها فيما قبلها عند البصريِّين، وعلى تقديرِ تسليمِ ذلك، فيصيرُ المعنَى: ما تشكرونَ قليلًا، وليس بطائل[4].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالمضارع في ﴿تَشْكُرُونَ﴾:

تَجَدُّدُ الشُّكرِ

الفعلُ المضارعُ يُفيدُ التَّجدُّدَ والاستمراريَّة، وهو المعنى في ﴿تَشْكُرُونَ﴾، لكنَّ إسنادَ ﴿قَلِيلًا﴾ إليه أفقدَه دَيْمومةَ الشُّكر، وصيَّره إلى معنَى أنَّهم قدْ يشكرون، ثمَّ يُعرِضونَ عن الشُّكرِ في غالبِ أحوالِهم، وهذا يعني: أنَّهم في الحقيقةِ مستمرُّون في غَفْلتِهم، دائمونَ في إعراضهم[5].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/320، 325، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/17، 35.
(2) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 2/373، والسَّمين الحلبي، الدُّرُّ المصون: 5/246.
(3) الزَّمخشري، الكشاف: 2/66، والشَّوكاني، فتح القدير: 2/264.
(4) السَّمين الحلبي، الدُّرُّ المصون: 5/246.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/17.

نكتةُ حذفِ متعلِّقِ الشُّكرِ:

حُذِفَ في الجملة السَّابقةِ مفعولُ ﴿تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرون الله، أو: تشكرون رسله، أو: النِّعَمَ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالشُّكرِ في هذا الموضعِ والتَّذكُّرِ في الموضعِ السَّابق:

استصحابُ قلَّةِ الشُّكرِ لقلَّةِ التَّذكُّرِ

لَمَّا أمرَ اللهُ عبادَه باتِّباع ما أنزَله عليهم في القرآنِ، ونهاهُم أنْ يتَّبعوا من دونهِ أولياءَ، ولكنَّهم كانوا قليلي التَّذكُّرِ أو عَديميه، ثمَّ منَّ وأنعمَ عليهم بالتَّمكينِ، وخَلقَ لهم أسبابَ المعايشِ في حياتِهم وأَقْدرَهم على التَّصرُّفِ بها وتسخيرِها لمصالِحهم - ختمَ بمقابَلتِهم لهذه النِّعمِ بالشُّكرِ القليل، أو عدمِ الشُّكر، تعبيرًا فائقًا بأنَّ مَنْ لا يتذكَّرُ أو أنَّ تذكُّره قليل لا يمكنُ أن يشكر؛ لأنَّ المتذكِّرَ يتَّعظُ، ويعتبرُ فيشكر، وإلَّا فلا، وذلكَ لأنَّ القِلَّة قد تكونُ كنايةً عن العَدَمِ على طريقةِ الكلامِ المُقتَصَدِ استنزالًا لتذكُّرِهم، فإذا عُدِمَ التَّذكُّرُ؛ عُدِمَ الشُّكرُ، وإذا قلَّ التَّذكُّرُ؛ قلَّ الشُّكر، ولذلكَ جاءَ التَّعقيبُ بهذه الآيةِ بليغًا غايةَ البلاغةِ بعدَ آيةِ: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: 3]، وبعدَ آية: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأعراف: 4]، إيماءً إلى أنَّ إهمالَ تذكُّرِ النِّعمةِ ومَنْ أنعمَ بها يُفضي إلى إهمالِ شُكرِ النِّعمة، ويُعرِّضُ صاحبَها لزوالِها، وهو ما دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الاستخلاف) و(الاستعمار) و(الاستقرار) و(التَّمكين):

التَّمكينُ يقتضي ما لا يقتضيه غيرُه من إعطاءِ ما يصحُّ به الفعلُ، ويقومُ من آلاتٍ وعُدَدٍ وقوًى

خلفُ: ضدُّ القُدَّام، قالَ تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: 255]، وخَلَفَ: ضدُّ تقدَّمَ وَسَلَف، والخِلافةُ: النِّيابةُ عن الآخرِ، إمَّا لِغَيْبةِ المنوبِ عنه، وإمَّا لموته، وإمَّا لعجزِه، وإمَّا لتَشريفِ المُسْتَخلَف، وعلى هذا الوجهِ الأخيرِ اسْتخلَفَ اللهُ أولياءَه في الأرض، قالَ تعالى:

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/35.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 165]، وقالَ تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: 26]، وقالَ ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النُّور: 55][1].

والعِمارَةُ: نقيضُ الخراب، ويُقالُ: عَمَرَ أرضَه يعمُرُها عِمارةً، قالَ تعالى: ﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [التَّوبة: 19]، وأَعْمَرتُه الأرضَ واسْتَعمرْتُه: إذا فَوَّضْتَ إليه العِمارة، قالَ تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61]، أي: جعلَكم عُمَّارها[2].

والاستقرار من: قَرَّ في المكانِ يقِرُّ قرارًا، إذا ثبتَ ثبوتًا جامدًا، وأصلُه من القُرِّ: وهو البَرْد، وهو يقتضي السُّكون، والحرُّ يقتضي الحركة[3]، قالَ تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: 33]، أصلُه: اقْرَرْنَ فحذفَ إحدَى الرَّاءَيْن تَخْفيفًا[4]، ويومُ القَرِّ: بعدَ يومِ النَّحر، لاسْتقرارِ النَّاس فيه بمِنَى، واسْتقرَّ فُلان؛ إذا تَحرَّى القَرار، قالَ تعالى في الجنَّة: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان: 24][5].

والمكانُ عند أهلِ اللُّغة: الموضعُ الحاوي للشَّيء، ويُقالُ: مَكَّنتُه ومكَّنتُ له فتمكَّن، قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 10][6].

والمكانُ مَفعلٌ من الكون، ولكثرتِه في الكلامِ أُجْرِيَ مَجْرَى فَعال[7]، فقيل: تمكَّنَ وتَمَسْكَنَ، نحو: تمنزَل[8].

والتَّمكينُ: إعطاءُ ما يصحُّ به الفعلُ كائنًا ما كان من الآلات والعُدَدِ والقُوَى، والتَّمكينُ لا يعني: التَّمليك، فليس كُلُّ مَنْ مُكِّنَ مِنْ شيءٍ يكونُ قد مَلَكه[9].

(1) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللّسان: (خلف).
(2) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللّسان: (عمر).
(3) الرّاغب، المفردات، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (قرر).
(4) الفرّاء، معاني القرآن: 2/342.
(5) الرّاغب، المفردات، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (قرر).
(6) الرّاغب، المفردات، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (مكن).
(7) الخليل، العين: (مكن).
(8) الرّاغب، المفردات: (مكن).
(9) العسكري، الفروق، ص: 142.

الجَعْل والخَلْق:

الـجَـعْـل: لفظٌ عامٌّ في دَلالاتِه، وأوسَـــعُ في تصريفاتِه من (الخَلْق)

جَعَلَ: لفظٌ عامٌّ في الأفعالِ كلِّها، وهو أعمُّ من فَعَلَ وصَنَعَ وسَائِرِ أخواتِها.

ويتصرَّف على خمسة أوجه: الأوَّل: يَجري مَجْرى صارَ وطَفِقَ، فلا يتعدَّى. والثَّاني: يَجري مَجْرَى أَوْجَدَ، فيتعدَّى إلى مفعولٍ واحد، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: 1]. والثَّالثُ: في إيجادِ شيءٍ من شيءٍ وتكوينِه منه، نحو: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النَّحل: 72]. والرَّابعُ: في تَصْييرِ الشَّيءِ على حالةٍ دونَ حالةٍ، نحو قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: 22]، وقولِه تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزُّخرف: 3]. والخامسُ: الحكمُ بالشَّيء على الشَّيء، حقًّا كان أو باطلًا، فأمَّا الحقُّ؛ فنحوُ قولِه تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص: 7][1].

وأمَّا الباطلُ كما في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ [الحجر: 91]، أي: مُتفرِّقًا[2].

والخلقُ في اللُّغة: التَّقدير، يُقالُ: خَلَقْتُ الأديمَ؛ إذا قدَّرْتَه خُفًّا أو غيره، وبابُه (نصَرَ): خلَقَ يَخْلُقُ، والخَليقة: الخَلائقُ، يُقالُ: هم خليقةُ اللّه، وهم خَلْقُ اللّه، وهو في الأصلِ مَصْدر، وخَلَقَ الإفكَ يخلُقُه، واخْتَلَقَه وتَخلَّقَه: افْتَراهُ، والمُتَخَلِّقُ: المُعتدِلُ في طِباعه.

والنَّاسُ يقولون: لا خالقَ إلَّا اللّه، والمرادُ أنَّ هذا اللَّفظَ لا يُطلَقُ إلَّا للّه، إذْ ليس أحدٌ إلَّا وفي فعلِه سَهْوٌ أو غَلَطٌ يَجري منه على غيرِ تقديرٍ، غيرُ اللّهِ ﷻ[3].

(1) الرّاغب، المفردات: (جعل).
(2) العسكري، الفروق، ص: 224 - 225، والرّازي، مختار الصِّحاح: (خلق).
(3) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللّسان: (جعل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 12 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-64-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 12 : سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-64-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»